جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية **الشعر الشعبي الجزائـري**

كليـة الأدب واللغات **ماستر 1 تخصص: أدب جزائري**

قسم اللغة العربية وآدابها **الدكتور: : سالم بن لباد.**

المحاضرة الرابعة:

الشعر الشعبي في العهد التركي(العصر الذهبي):

تمهيد:

يعد العهد التركي بحق أخصب عهد عرفته القصيدة الشعرية الشعبية، فعدت أحد أهم المأثورات الثقافية في هذا العهد، وعادة ما يوصف هذا العهد بأنه عهد الانحطاط لما تميز من فقر في المجال الثقافي، ما عدا فيما يخص مجال الثقافة الشعبية، والتي كثيرا ما كان ينظر إليها على أنها تجل من تجليات الانحطاط الثقافي والأدبي. ولقد ظهر الشعر الشعبي كأحد أهم وسائل التعبير التلقائي عن الحالة النفسية والاجتماعية التي كانت تعيشها مختلف الطبقات الاجتماعية، وميزة هذا الشعر أنه كان رائجا في تلك الفترة، «مما فتح أمام القصيدة الشعبية مجالا واسعا، ومكنها من احتلال المقام الأول لخدمة قضايا الانسان، والتعبير عن نوازعه ورغباته وحاجاته أيضا»[1].

وأحسن دليل على شيوع ورواج الشعر الشعبي في هذه الفترة كثرة الأسماء الشعرية التي شكلت المشهد الشعري والثقافي لتلك الفترة، والذي يمثل النضج الثقافي للشاعر الشعبي، ونذكر من بين هؤلاء الشعراء

1- الأكحل (الأخضر)* بن خلوف (1495-1620م):

1- العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م، ص39.

*يتساءل البعض عن الاسم الحقيقي لسيدي لخضر بن خلوف، وحسب حكايتها المتداولة أنه مر على زواج والده عبد الله بكلة وقت طويل ولم يرزق بمولود، الذي جعل أمه تتضرع لله تعالى بالصلاة والدعاء،وفي أحد الأيام زارت سيدي أمحمد لكحل تبركا به كرجل تقي، وبعودتها نذرت نفسها، لو رزقت بولد لسمته لكحل نسبة لاسم الشيخ الصالح. ولم يمر زمن طويل حتى بدأت علامة الحمل تظهر، وفي احدى الليالي رأت في منامها أن حزاما أخضر اللون مرصع بقطع ذهبية يطوق قامتها، واضح لها بعد تأويل الرؤيا أنها سترزق بإذن الله ولدا يكون له شأن عظيم في الناس ويسمى لخضر.ولهذا سمي لخضر بن خلوف باسم لكحل

وهو أقدم شاعر شعبي، كما أنه ولي من أولياء الله الصالحين في منطقة مستغانم، ومازال المستغانميون يقيمون وعدة سيدي لخضر بن خلوف إلى يومنا هذا. وقد عرف بالمدائح الدينية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينظم غير ذلك، ما عدا ذكر قصيدتان تاريخيتان التي دارت بين الأتراك مع الجيش الاسباني، يروي فيهما وقائع المعارك بدقة فائقة، يقول في الأولى والتي سماها قصة شرشال*:

شاب راسي من قوة ليعة الحمال مسطرين الفرسان ماشية وجاية

والخلوفي يناده و يسايس في البطال و العرب بسناجق والقوم غازية

في جبل شرشال حطينا للقتال يحق في ذاك اليوم امرا باكية[2]

أما الثانية ، وهي القصيدة الشهيرة والتي تروي أحداث معركة مزغران، وهي القصيدة المعروفة بقصة مزغران، يقول في مطلعها:

يا فارس من ثم جيت اليوم غزوة مزغران معلومة

يا عجلانا ريّض الملجوم رايت اجناب الشلو موشومة**

يا سايلني عن طراد اليوم قصة مزغران* معلومة**

إلى أن يصل:

طل الكافر حين شاف الناس حقق في الجبهة أمشى مجدوب

قالوا أهل التدبير للقرطاس إذا نغدوا ايجونا بركوب

ثم نقتل الراس بعد الراس حق الحق ولا بقات كذوب

ولخضر.(نقلا: جمعية آفاق مستغانم،سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده،ج2، منشورات الألفية الثالثة، وهران، 2010م،ص11.)

*وهي المسيرة ما بين الجزائر العاصمة ومستغانم ومزغران، مرورا بالبليدة، الأصنام، المرجى، ومقام سيدي عابد وسيدي بوعبد الله.

2-جمعية آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ج2، منشورات الألفية الثالثة، وهران ، 2010م،ص16.

**موشومة: هي فرس عليها جرح الشبير لشدة السير في ساحة القتال

***مزغران هي دشرة غرب مدينة مستغانم وأصل التسمية تامزغران.

باتوا الكفرة حارمين النوم ومزامير المقت محمومة

جيش بلا سلطان غير ايهوم ضاقت به اجناح معدومة[3]

أما بقية قصائده فكلها مدائح دينية مثل قصيدة ""يا ملك الملوك ربي" وقصيدتيه: "الخزنة الكبيرة"و"الخزنة الصغيرة".

2- محمد بن درمش الشرشالي:

وله قصيدة تمجد انتصار الأتراك في البلقان عام 1127، مطلعها:

صلوا كلكم يا معشر الأخوان على المصطفى الهادي رفيع الشان

سبحان الله المالك الدايم الفرد الجليل العادل الحكيم[4]

فالطابع الديني يبدو واضحا في هذا المطلع رغم أن القصيدة في تمجيد الأتراك، وهي سمة في أغلب القصائد الشعبية التي تفتتح دائما بالصلاة والسلام على النبي حتى وإن كان غرضها في غير المديح الديني.

3- الشاعر القسنطيني بلقاسم الرحموني:

صاحب قصيدة "عام مكبرة"، التي صور فيها أحوال مدينة قسنطينة الاجتماعية في العهد التركي، وهي تدخل في غرض رثاء المدن، يقول في مطلعها:

عام مكبرة هاي سيدي بالكساد وغلات النعمة[5]

4-الشاعر بن السويكت:

---

[3]-توفيق ومان، أنطولوجيا صوت المكنون في الشعر الملحون، منشورات المكتبة الوطنية،2007م، ص ص70-72.

4-ياسين سعادة، الشعر الشعبي الجزائري فترة العهد التركي:قراءة سوسيولوجية، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،2003م،ص ص183-184.

5-المرجع السابق، ص184.

وهو الذي سجل انتصارات أهل الغرب الجزائري على العثمانيين في مقاومتهم الطويلة والقاسية، وهي الحروب التي سميت بثورة المحال، والتي كانت تشتعل وتنطفيء على فترات متعاقبة مدة قرنين من الزمن.

الترك جاروا واسويد عقابهم طاوخين والترك شاربين الهبال في سلطة[6]

وتعد هذه النماذج الشعرية بدايات للقصيدة الثورية (الحماسية)، التي عرفت أوج تطورها في فترة الاستعمار الفرنسي.

5- أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي(1583-1677):

وهو صاحب قصيدة "العقيقة"*، وهي في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي من الشعر الصوفي المتميز بالرمزية،«وفد إلى المغرب في أول الدولة العلوية وأدرك مكانة عند سلاطينها»[7]. يقول في مطلع عقيقته:

كيف ينسى قلبي عرب لعقيق والبان والعقيق اعيوني بقلايدو أنهلوا[8]

6- أحمد بن تريكي(1650- ؟) :

«وهو أحمد بن التركي تصغير تريكي، التلمساني الدار والنشأة، كان من حملة القرآن العظيم، وقصائده مروية في القطر الجزائري كله وبفاس»[9]. من الكلاغلة (من أب تركي وأم جزائرية)، ويسرد الرواة حكاية طريفة عن أسباب تفتق شاعريته، مفادها «أن أخا له كان وكيلا (مقدم الزاوية) بضريح أحد الأولياء الله بتلمسان، فذهب لزيارته ذات يوم فوجده قائما حول الضريح ووجد هناك نسوة خرجن لزيارة الولي متزينات بأفخر الثياب فهام من حسنهن ولجمالهن، وجعل يخاطب أخاه بالشعر وهو قائم»[10]. يقول:

6-المرجع نفسه،ص184.

*العقيقة نسبة إلى وادي العقيق في الحجاز.

7-عباس الجراري،القصيدة(الزجل في المغرب)،ص604.

8-المرجع نفسه، ص604.

9-عبد الحق زريوح، ديوان أحمد بن التريكي، نشر ابن خلدون، تلمسان،2001م،ص25.

10-المصدرالسابق، ص25.

فيق يا النايم واستيقظ من المنام واسغى لحديثي يا خاي وافهموا[11]

ولهذا فقد كان جل شعره تقريبا في الغزل، مثل قصيدتيه:"نيران شاعلة في كناني"و"العيد لكبير"، كما نظم قصيدة في وصف مكة، بعد أن عاتبه شيخه الشاعر المنداسي على قصائده الغزلية..يقول في مطلعها:

شعلت نيران كبادي وعييت ما نبكي وما نفعني نواح

طابو بالدّمع اثمادي لو صبت نزور امقام راحتي نستراح

صلى الله على الهـادي [12]

7- محمد بن مسايب (؟ – 1768):

وهو من أشهر الشعراء في النوع الحوزي، القريب من الزجل الأندلسي، والشاعر نفسه من أصل أندلسي، استقر مع عائلته في تلمسان، نظم المدائح الدينية، مثل قصيدة "الحرم يا رسول الله"، التي يقول في مطلعها:

الحرم يا رسول الله الحرم يا رسول الله

خيفان جيت عندك قاصد الحرم يا رسول الله

خيفان جيت عندك قاصد يا صاحب الشفاعة لمجد

خوفي بزلتي نتمرمد يوم الوقوف عند الله

عاري عليك يا محمد عار الغلام على مولاه[13]

---

[11]– المصدر نفسه، ص25.

[12]– المصدر نفسه،ص29.

13–توفيق ومان، أنطلوجيا،ص80.

كما عرف بن مسايب برثاء المدن، وتحديدا رثاء مدينة تلمسان، نتيجة لما آلت إليه في فترة حكم الأتراك، مثل قصيدة:"هكذا راد وقدر" وقصيدة"ربي قضى"، بالاضافة إلى قصائده في الغزل، مثل قصيدة "مال حبيبي ماله"...

8-أبي مدين بن سهلة:

«هو أبو مدين بن محمد بن سهلة، شاعر تلمساني من فحول الحوزي المشهورين، ولد في القرن الثاني عشر للهجرة، أي في نهاية احتلال الأتراك للجزائر»[14].صاحب رائعة " سبحان خالقي سلطاني" والتي تعرف أيضا باسم "يوم الخميس واش ادني"، يقول في مطلعها:

سبحان خالقي سلطاني من لا اينام ربي عالم الاسرار

قدر او رادلي وبلاني زليت بالقدم اوزدت بالابصار

حتى القيت من سلبتني بالحسن والبها والزين المسرار

يوم الخميس واش ادّاني حتّى القيتها مسبوغة الاشفار[15]

وله قصائد كثيرة تغنى بها العديد من المغنيين المشهورين مثل قصيدة" مالي صدر حنين" و "الوشام" و"صادفت غرام"، ومن مميزاته الشعرية توظيف عدة أغراض في القصيدة الغزلية الواحدة.

خلاصة:

لقد أحصى أحد الباحثين أكثر من سبعين شاعرا شعبيا في العهد التركي، وهم يمثلون فقط عينة من المحظوظين الذين جمعت ودونت أشعارهم، ومن الطبيعي أن يكون هناك من الشعراء من لم يحظى هذا الشرف، فضاعت قصائده ونسيها الرواة، فضاعت، ما يعني أن هذه الفترة هي الأكثر ازدهارا مقارنة بالفترات التي سبقتها فيما يخص هذا النوع الأدبي الشعبي، الذي برز في هذه الفترة

14-شعيب مقنونيف،ديوان أبي مدين بن سهلة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2002م، ص29.

15-شعيب مقنونيف، المصدر السابق، ص166.

بالذات نتيجة عوامل كثيرة، على رأسها طبيعة هذا العصر، الذي كان يميل إلى انحطاط الأذواق الأدبية وابتذالها، ويشجع عليها، ما دفع بالكثير من الشعراء المثقفين منهم وغي المثقفين إلى نظم قصائد شعبية بدل نظم قصائد فصيحة.

وهذه الفترة كانت قريبة تاريخيا من فترة بدايات الاهتمام بجمع وتدوين ودراسة التراث الشعبي بشتى أنواعه إبان الحقبة الاستعمارية المتصلة تاريخيا بالحقبة التركية، وهذا ما حافظ على هذا الزخم الكبير من التراث الشعبي، بالإضافة إلى دور المغنين في تخليد هذه القصائد، وإتاحة فرصة استمرارها.

أما من ناحية الموضوعات فقد كان هناك ثلاثة موضوعات أثيرة لدى هؤلاء الشعراء، هي:

1-الموضوعات الدينية التي نجدها في أغلب القصائد الشعبية، وهي عبارة عن مدائح دينية في مدح الاسلام ونبي الله محمد صلى الله عليه وسلم.
2-موضوعات المقاومة المسلحة ضد الأتراك وغيرهم من طرف الجزائريين في ذودهم عن بلادهم من كل مغتصب، وهي تلتبس دائما بالطابع الديني نظرا لإعلائها كلمة الجهاد والمقاومة في سبيل الله والوطن، لتتقاطع بذلك مع القصيدة الدينية، وهذا ما قد نلمسه على الأقل في مطالع هذه القصائد.
3-موضوعات عامة كالغزل، الرثاء، ورثاء المدن، وهو موضوع أندلسي انتقل —خاصة-مع الشراء من ذوي الأصول الأندلسية كبن مسايب، الذي كثيرا ما كان يرثي ما آل إليه الوضع في مدينة تلمسان. وهذه الموضوعات كثيرا ما تتقاطع هي الأخرى بالجوانب والموضوعات الدينية.